جدلية اللغة في المسرح العربي بين الفصحى والعامية

طيباوي نبيلة
المشرف: أ.د عمار حلاسة، أستاذ التعليم العالي
مخبر النقد و مصطلحاته
جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ملخص

إن فن المسرح من بين الفنون التي يعبّر بها الإنسان عن أفكاره المختلفة، ووسيلته في ذلك هي اللغة، فهي وسيلة اتصال بين المبدع و المتلقي، وتختلف اللغة من مجتمع إلى آخر، بل تتنوع داخل المجتمع الواحد، وهذا ما نراه داخل المجتمع العربي والذي تنوعت لغته مابين الفصحى و العامية، ما جعل مختلف الفنون الأدبية تتراوح لغتها ما بين الفصحى و العامية، والمسرح واحد منها، وهو ما شكل جدلا واسعا في اللغة الأنسب للكتابة الإبداعية المسرحية.

الكلمات المفتاحية: *اللغة، الفصحى، العامية، المسرح، النص المسرحي.*

Résumé

L'art théâtral est parmi les arts par lesquels l'homme exprime ses pensées et ses soucis de la vie quotidienne à travers la langue qui est le pionnier fondamental des écritures théâtrales parce qu'elle est le moyen de communication entre l'auteur et le lecteur. La langue se varie d'une société à l'autre et elle peut être aussi diverse dans la même communauté linguistique tel est le cas de l'arabe standard et l'arabe dialecte. Ce constat a engendré des débats polémiques et immenses auprès des écrivains et des auteurs autour de la question de la langue la plus pertinente pour le théâtre en particulier et la littérature en général.

Mots-clés *: langue, arabe standard, arabe dialectale, théâtre, texte théâtral.*

Abstract

The art of the theater is one of the arts in which man expresses his different ideas. His means are language. He is a means of communication between the creator and the recipient. The language varies from one society to another, but varies within the same society. This is what we see in the Arab society. Between the classical and the colloquial, and this is what makes the different literary arts ranging from the classical to the colloquial, and the theater one of them, and this is what formed a wide

debate in the language most suitable for creative writing theatrical.
***Keywords**: Language, Classical, Colloquial, Theater, Theatrical Text.*

إذا كانت المسرحية فنا من الفنون الأدبية، فإنها تقوم كغيرها من الفنون الأخرى على مجموعة من العناصر الأساسية لعل أهمها اللغة، والتي نتعرف من خلالها على بنية العناصر الأخرى (الحدث، الشخصيات، الزمان، المكان).

فاللغة "تنطق الشخصيات، وتكشف الأحداث وتوضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب"[1] ،ومن خلالها يعكس أفكاره وتجاربه لمختلف القضايا في الواقع المعاش. وهي المستودع للعواطف والأفكار و"الوسيلة لرسم الشخصيات وتصوير الأحداث وتحديد المغزى العام للعمل الأدبي"[2] فعن طريقها يعبر الكاتب عن مختلف الرؤى والتجارب التي تدور بمخيلته وفي فكره ووجدانه.

واللغة في النص المسرحي هي عموده الدرامي وركيزة عناصره لأنه من خلالها يكشف الأدب المسرحي عن أثمن مقوماته، بل ترتقي وظيفتها بتخليد الأعمال والنصوص المسرحية في سجلات التاريخ لتبقى مع مرور الزمن مرجعا مهما يعود إليه الدارس كلما احتاج لذلك، وخير مثال على ذلك بُعْدُ عهدنا عن عهد شكسبير ومولبير وكذا شوقي لكن نتاجهم بقي خالدا والفضل في ذلك يعود إلى اللغة هي التي طوعتها عبقريتهم في المجال الفني"[3] فاللغة هي التي خلدت تلك الأعمال المسرحية الكبرى ومن خلالها تعرفنا على الكثير من النصوص المسرحية التي جعلت كتابها نجوما تسطع في سماء المسرح العالمي.

ولغة المسرح تحتوي على الكثير من العلامات والألفاظ والعبارات التي لها أبعادها المختلفة " فما هي أولا وأخيرا إلا نص أدبي أجمل ما فيه اللغة صانعته ومخرجته للوجود"[4].

وما يجعل من المسرح يختلف عن الفنون الأخرى هو أنه الممارسة والكتابة المسرحية تجمع النص والعرض في آن واحد، والذي يربط بينهما هو اللغة المسرحية، فهي تتحدث

---

[1] -عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب المنيرة، القاهرة، مصر، د-ط، 1982، ص 199.

[2] -محمد زقي العشماوي، المسرح أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، د-ط، 1989، ص 26.

[3] -محمد غنيمي ملال، في النقد المسرحي، دار العودة، بيروت، لبنان، 1975، ص 09-10.

[4] -عز الدين جلواحي، النص المسرحي في الأدب الجزائري، مطبعة هومة، 2000، ص 142.

مباشرة مع الجمهور عن طريق العرض أي وجود شخصيات حية متفاعلة يسمعها مباشرة ويرها أمامه عكس الفنون الأدبية الأخرى التي تتحدث مع القارئ أو المتلقي إلا عن طريق النص المسرحي كتب بلغة وضعت_في الأساس للعرض.

واللغة المسرحية تختلف من نوع إلى آخر، فاللغة المسرحية النثرية تختلف عن اللغة المسرحية الشعرية فالأولى ينتجها الكاتب وبصورة نثرية فيجري الحوار بين الشخصيات المختلفة للمسرحية بلغة نثرية بعيدة عن الوزن والقافية وبعيدة عن التنمق والزخرفة اللفظية، بينما اللغة المسرحية الشعرية هي التي يكون فيها الشعر الركيزة الأساسية التي يبني عليها موضوع المسرحية، والكاتب مجبر هنا على التقيد باختيار الألفاظ والعبارات المناسبة للوزن الشعري، وعموما "المسرح الشعري تسميه يقصد بها المسرحية المكتوبة شعرا أو بلغة نثرية لها طابع شعري"[5] واستخدمت للتميز بينهما.

وتعتبر اللغة أهم وسيلة يتواصل بها الإنسان مع غيره فقد وجدت بوجوده. وهي تختلف من مجتمع إلى آخر، بل تختلف وتتنوع داخل المجتمع الواحد، وهذا ما نراه جليا وواضحا_في مجتمعنا العربي كأحسن مثال حي، حيث تتنوع لغته ما بين الفصحى والعامية.

فاللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية لجميع الأقاليم والأمصار العربية فهي تمثل وحدتهم وتاريخهم ورابطهم الذي يجمع الكل_في واحد"[6] فهي اللغة الرسمية لهم وهي اللغة التي توحد العرب من المحيط إلى الخليج.

وارتبطت اللغة العربية عند المسلم بالتعبد لأنها لغة القرآنية أولا واللغة التي نتعبد بها_في صلواتنا ثانيا فاللغة العربية ارتبطت بالدين الإسلامي فهي أداة محكمة غنية بتراثها، وهي ذات صلة بين أمم شتى"[7] ولها مكانتها عند العرب، ولها تاريخها وجذورها.

أما العامية فهي لغة الحديث التي نستخدمها_في حياتنا العادية، ويجري بها حديثنا اليومي هي الصورة التي اصطلح عليها بلغة لهجات المحادثة"[8] فهي لغة الحديث اليومي، لغة البيت والشارع؟.، ولغة الأمي والمتعلم كذلك فالعامية لغة الحس، والعجلة، لغة فجائية تلقائية انفعالية، والانفعال بيولوجي الطابع، لا يتيسر له وقت ولا فراغ كي يعمل الرؤية،

---

[5] -المعجم المسرحي، ماري الياس وحنان قصاب حسن، ص 281..

[6] -محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، ص 673.

[7] -محمد عبد الله عطوات، اللغة الفصحى والعامية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003، ص 73.

[8] -المرجع نفسه، ص 64.

لهذا تطفو العامية على سطح الوجدان، وتسيطر على روابط الجملة، وهي لا تبالي بالعوامل النحوية"[9].

فاللغة العربية العامية لغة غير رسمية في مختلف الأقطار العربية وإنما تستعمل للحديث اليومي، فلهي تقبل الدخيل من الكلام وتخرج عن قواعد النحو والصرف، والإنسان غير ملتزم بتلك الضوابط والقواعد النحوية.

في حين نجد أن اللغة العربية الفصحى لها قواعدها وضوابط من نحو وصرف، والذخيرة اللغوية العربية تمتاز بالغنى والثراء اللفظي، وإن المرء ليقف معجبا حائرا أمام هذا البحر من الألفاظ، وهذا الغنى في المترادفات والأوصاف، حتى أن بعضهم يرى في هذه الظاهرة موضوع فخر ومباهاة، فلكل ساعة من ساعات النهار اسم، ولكل ليلة من ليالي القمر اسم، وللسنة أربعة وعشرين اسما...الخ، ونحن نعلم أن هذه المرادفات هي أوصاف ومجازات ولكن رغم هذا كله، فإننا نستطيع أن نقول أن العربية غنية جدا بمفرداتها"[10]، فمعجم العربية من أضخم المعاجم وبذلك تفوق أي لغة سامية أخرى.

وإذا كانت "اللغة جوهرا فنيا للمسرحية بها يكشف الأدب المسرحي عن أثمن مقوماتها"[11] فقد دار جدل كبير حول اللغة المستعملة للمسرح اللغة الفصحى أم العامية، وفي هذا المضمار يقول طه حسين

"اللغة الفصحى تفهم من كافة الأقطار التي تتكلم العربية ولكنك إذا كتبت بلهجة من اللهجات فلن يفهمك إلا أصحاب هذه اللهجة، فاللغة الفصيحة هي اللغة المحايدة التي يستطيع الكاتب القدير أن يتصرف فيها ويخلق منها ألوانا متنوعة من التمييز تناسب الشخصيات التي يرسمها، إذ أن مثل هذه اللغة الفصيحة كمثل الماء الصافي الذي يمكن تلوينه بأي لون فيظهر هذا اللون على الحقيقة، أما اللغة العامية فهي الماء الملون لا يمكن أن يظهر أي لون جديد على حقيقته"[12]،

ويؤيده غنيمي هلال حيث يقول:

«لما كانت الفصحى أقدر على التعبير عن المسرحيات المترجمة عن الآداب العالمية، أليس ذلك لأن تلك المسرحيات أرقى في مضمونها وأفكارها، وصورها،

---

[9] -محمد عبد عطوات، اللغة الفصحى والعامية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003، ص 64-65.

[10] -أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ص 16.

[11] -نديم معلا، قضايا مسرحية، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، سوريا، 1995، ص 12.

[12] -محمد الدالي، الأدب المسرحي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1999، ص 238..

وأرفع من أن تقوى العامية على التعبير عنها... لم إذن نحكم على لغتنا الفصحى بالعجز عن خلق مسرحيات في أدبها تناظر تلك المسرحيات العالمية مادمنا قد اعترفنا بأنها أقدر على ترجمة مثل تلك المسرحيات"[13]

فهم يرون بذلك أن اللغة المسرحية تكتب بالفصحى، لأنها تجمع تحت رايتها أبناء الوطن العربي رغم شساعة مساحته واختلاف لهجاته، وهي بالضرورة تقدم في أرض صورها للعالم بلغة فصيحة، لأنها هي اللغة الأولى التي تعرفنا من خلالها على الكثير من المسرحيات العالمية.

في حين هناك من يرى بأن الاقتراب إلى الجمهور أكثر يستدعي استعمال اللغة العامية، لأنها وضعت بالأساس لجذب هذا المتلقي سواء كان قارئا أو جمهورا فهي الأقرب والأنسب لأنه يفهمها هذا المتلقي، فهي على حد قول محمد عثمان جلال"...أنسب لهذا المقام وأوقع في النفس عند الخواص والعوام"[14]،وهي بالتأكيد "لغة التعبير الألصق بلغة الحياة، أشخاصه يقفزون من الخشبة إلى الصالة أو من دفتي الكتاب إلى الشارع ليختلطوا بجمهورهم مباشرة، وليحدثوا معه بلغته"[15] التي تعبر عن همومه ومشاكله وطموحاته وأحلامه في هذه الحياة" وباللغة العامية المفهومة من طرف الجميع ولكن ليت اللغة السوقية الرديئة فهي عربية ملحونة منتقاة"[16].

في موقف آخر يحصر توفيق الحكيم " استعمال العامية في المسرحيات المحلية العصرية التي يفسد جوها الفني استخدام لغة غير لغتها اليومية"[17] مثل المسرحيات الكومدية التي تعبر عن الواقع المعاش بصورة هزلية.

ومهما يكن من اختلاف لأوجه النظر فإن اللغة المسرحية سواء كانت هذه اللغة مكتوبة شعرا أو نثرا، باللغة الفصحى أو العامية تبقى هي الرابط الأساسي بين أجزاء المسرحية، ولا تقتصر هذه اللغة على ما هو مكتوب فقط بل هي كذلك الصمت أحيانا بين المواقف والجمل، وهي الحركات والاستشارات وهي الأداء الذي يقوم به الممثل على الخشبة،

---

[13] –محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، دار العودة، بيروت، لبنان، 1975، ص 81.

[14] –عز الدين جلاواحي، النصر المسرحي في الأدب الجزائري، دار هومة، 2000، ص 122.

[15] –عصام، محفوظ، المسرح مستقبل العربية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 76.

[16] –محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د–ط، د–ت، ص 34.

[17] –عز الدين جلاوبي، النص المسرحي في الأدب الجزائري، ص 122.

والتشخيص أو التمثيل"[18] فاللغة المسرحية لغة كتابية متعددة الأوجه شعرا أو نثرا، عامية فصحى، وكتبت لتجسيد على الركح المسرحي فنسمعها مباشرة ونشاهدها تؤدى عن طريق ممثلين لمختلف شخصيات النص المسرحي.

وعموما نستطيع أن نقول أن المسرح هو فن ازدواجية اللغة، فهناك الكثير من المسرحيات التي اتخذت من العامية لغة لها ولاقت صدى ونجاحا باهرا لدى جمهورها ومتلقيها، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للمسرحية الفصحى، فلكل جمهوره ومتتبعوه، وهذا بالضرورة يرجع إلى طبيعة النص المسرحي في حد ذاته.

[18] -وليد إجلاصي، لوحة المسرح، الناقصة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1997، ص 15.